الفصل الثالث

العلم في السنة النبوية

في السنة المطهرة حديث مستفيض عن مكانة العلم ، والحض والحث عليه ، وتشجيع المسلمين للانكباب على التعلم والتعليم ، سواء كان العلم يتعلق بأمور الدنيا أو بأمور الآخرة ، وهناك طائفة كبيرة من الأحاديث ترفع مكانة طلاب العلم ، وتدعو إلى نشر العلم ، وتهدد وتحذر من كتمانه ، ولننقل بعض تلك الأحاديث من باب تعميم الفائدة .

عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري قال : سمعت معاوية يخطب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم ، ويعطي الله ، ولن يزال أمر هذا الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة ، وحتى يأتي أمر الله »[1] .

وعن قيس بن كثير رحمه الله قال : كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق ، فجاءه رجل ، فقال : يا أبا الدرداء ، إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ ، لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ، ما جئت لحاجة ، قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً : سلك الله به طريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات

---

(١) صحيح البخاري : ٦/ ١٥٢ ، صحيح مسلم : رقمه(١٠٣٧) .

ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، ورّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر »[١] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع »[٢] .

وعن سنجرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من طلب العلم كان كفارةً لما مضى »[٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها »[٤] .

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد والناس معه ، إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ ، وذهب واحد ، فوقفا على رسول الله ، فأما أحدهما : فرأى فرجة في الحلقة ، فجلس فيها ، وأما الآخر : فجلس خلفهم ، وأما الثالث : فأدبر ذاهباً ، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : « ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم : فأوى إلى الله عز وجل ، فآواه الله ، وأما الآخر فاستحيا ، فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض ، فأعرض الله عنه »[٥] .

---

(١) سنن الترمذي : رقمه(٢٦٨٣) ، سنن أبي داود : رقمه(٣٦٤١) .
(٢) سنن الترمذي : رقمه(٢٦٤٣) سنن ابن ماجه : رقمه(٢٢٧) .
(٣) سنن الترمذي : رقمه(٢٦٥٠) .
(٤) سنن ابن ماجه : رقمه(٤١٦٩) ، سنن الترمذي : رقمه(٢٦٨٨) .
(٥) صحيح البخاري : ١٤٣/١ ، صحيح مسلم : رقمه(٢١٧٦) ، موطأ مالك : ٩٦٠/٢ .

وعن سهل به سعد الساعدي رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « والله لأن يهدي بهداك رجل واحد خير لك من حمر النَّعَم »[1] .

وعن عمارة بن جوين قال : كنا نأتي أبا سعيد ، فيقول : مرحباً بوصية رسول الله ﷺ ، إن رسول الله قال : « إن الناس لكم تَبَع ، إن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين ، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً »[2] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نضّر الله امرأً سمع مني شيئاً فبلّغه كما سمعه ، فرب مبلّغٍ أوعى من سامع »[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء : من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به بعده ، أو ولد صالح يدعو له » .

وفي صحيح مسلم بالسند المتصل إلى أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الدال على الخير له مثل أجر فاعله » .

وفي الحديث المتفق عليه أن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها » .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « قليل العلم خير من كثير العبادة ، وكفى بالمرء علماً إذا عبد الله ، وكفى

---

(١) سنن أبي داود : رقمه(٣٦٦١) ، صحيح مسلم : رقمه(٢٤٠٦) .
(٢) سنن الترمذي : رقمه(٢٦٥٢) ، سنن ابن ماجه : رقمه(٢٤٧) .
(٣) سنن الترمذي : رقمه(٢٦٥٩) .

بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه ، إنما الناس رجلان : عالم وجاهل ، فلا تمار العالم ولا تحاور الجاهل » .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي » .

وفي سنن الترمذي وابن ماجه والبيهقي بالسند المتصل إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله يوم القيامة فقيهاً عالماً » . وعن الحسن رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة » .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يبعث الله العباد يوم القيامة ، ثم يميز العلماء ، ثم يقول لهم : يا معشر العلماء! إني لم أضع علمي فيكم لأعذبكم ، اذهبوا فقد غفرت لكم » .

ولا يظن أحد أن العلم المطلوب هو علوم الشريعة فقط! أبداً ، إنما كل علم يجلب الخير والنفع على عباد الله .

والأدلة في السيرة الطاهرة كثيرة جداً ، من ذلك أن النبي ﷺ دعا القوم إلى تعلّم اللغات الأجنبية ، فقد أورد ابن سعد أن النبي ﷺ أمر (زيد بن ثابت) أن يتعلم اللغة العبرية ، لما في ذلك من أهمية ما يريده الآخرون وما يخططون له .

وفي المجالات العسكرية : علّم الناس مسألة التمويه والتخطيط والمباغتة والاستطلاع وتقسيم الجيش ، والاتفاق على ما يسمى اليوم (كلمة السر) ، والعودة إلى غزوات الرسول ﷺ تعطي إيضاحاً أكثر .

وفي المجالات الاقتصادية : علّم رسول الله ﷺ منهجاً قويماً ، بحيث نهى عن الربا والغش والاحتكار ، وشجع على استثمار الأراضي وزراعتها والكسب الحلال واستثمار الوقت في أي عمل يدر الخيرات على الناس .

وفي مجال الصحة : علّم النبي ﷺ قواعد هامة مثل النظافة العامة ، سواءً كان ذلك متعلقاً بالشوارع أو المنازل أو الحدائق أو المساجد أو الجسد .

وفي المجالات الاجتماعية : علّم الناس ممارسة الشورى وإدلاء الأصوات والآراء ، ودعا إلى توحيد كلمة الأمة ، وبث فيها فكرة التعاون والإحسان ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يقول يوم القيامة ، أين المتحابون بجلالي ، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي » .

أجل ، لقد بلغ من مكانة العلم في السنة الطاهرة ، أن ربط رسول الله بين العلم وبين أمور الخير والفضائل ، فالعلم مربوط بالخير والهداية ، قال رسول الله ﷺ : « العالم والمتعلم شريكان في الخير » .

وربط رسول الله ﷺ بين العلم وبين الدعاء لله تعالى ، روى الترمذي بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ أنه قال : « اللهم انفعني بما علمتني ، وعلمني ما ينفعني وزدني علماً ، والحمد لله على كل حال ، وأعوذ بالله من حال أهل النار » .

وربط النبي ﷺ بين العلم وبين الدرجات والمنازل العليا ، قال رسول الله ﷺ : « يبلغ العبد منازل الأخيار ، الدرجات العلى في الدنيا والآخرة » .

ولذلك كله نستطيع القول : إن الشريعة الإسلامية ومن خلال

الأحاديث النبوية اهتمت كثيراً بطلاب العلم ومجدت العلماء ، واعتبرت أن موت العالم الواحد يحدث شرخاً كبيراً في مسيرة الحركة للأمة ، قال رسول الله ﷺ : « ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه » .

وأورد ابن عبد البر رحمه الله طائفة من الأحاديث النبوية التي تتحدث عن ذهاب العلماء ، منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تظهر الفتن ويكثر الهرج ، قيل : وما الهرج ؟ قال : القتل القتل ، ويقبض العلم » .

ومنها ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا » .

ومنها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يخرج من أمتي ثلاثون دجالاً كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يُقبض المال ويقبض العلم وتظهر الفتن ويكثر الهرج ، قالوا : وما الهرج ؟ قال : القتل القتل » .

وعن الحسن رضي الله عنه قال : موت العالم ثلمة في الإسلام ، لا يسدها شيء ما اطرد الليل والنهار .

* * *